بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل
يهدئه كما يهدا الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان
على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على
سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة
لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد ابن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب
لبيانه وارتفاع اشكاله قال واما قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الايات
فليس فيها اثبات ذنب عليه الصلاة والسلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدي له
ممن لا يتزكى فان الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين الاقبال
على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر
كان طاعة لله وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة
له وما قصه الله عليه من ذلك الاعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده
والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى اي ليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام
اي لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم ان تعرض عمن اسلم بالاشتغال بدعوتهم ان عليك الا البلاغ
وقد كان ابن ام مكتوم يستحق التاديب والزجر لانه وان فقد بصره كان يسمع مخاطبة الرسول
صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات وشدة اهتمامه
عليه الصلاة والسلام بشانهم فكان اقدامه على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام ايذاء
له عليه الصلاة والسلام وذلك معصية عظيمة فثبت ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا
ومعصية وان الذي فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو الواجب المتعين وقد
كان عليه الصلاة والسلام ماذونا له في تاديب اصحابه لكن ابن ام مكتوم بسبب عماه
استحق مزيد الرفق واما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم الاية فروى ابن ابي
حاتم عن مسعر عن عون قال هل سمعتم بمعاتبة احسن من هذا بدا بالعفو قبل
المعاتبة وكذا قال مورق العجلي وغيره وقال قتادة عاتبه كما تسمعون ثم انزل التي في
سورة النور فرخص له في ان ياذن لهم ان شاء فقال تعالى فاذا استاذنوك لبعض شانهم
فاذن لمن شئت منهم ففوض الامر الى رايه عليه الصلاة والسلام وقال عمرو بن ميمون
اثنان فعلهما الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه
الفداء من الاسرى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون واما قول بعضهم ان هذه الاية تدل
على انه وقع من الرسول ذنب لانه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سالفة
ذنب وقول الاخر لم اذنت لهم استفهام بمعنى الانكار فاعلم انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله
عنك يوجب ذنبا ولم لا يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله تعالى في توقيره وتعظيمه
كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما عنده عفا الله عنك ما صنعت في امري ورضي
عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله الا عرفت حقي فلا يكون غرضه من هذا

الكلام

داخل

الكلام الا زيادة التبجيل والتعظيم قال وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال صلى الله عليه
وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمهم ذلك ونحوه
للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال
ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا واما الجواب عن الثاني فيقال اما ان يكون
صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب ام لا فان قلنا لا امتنع على هذا التقدير ان
يكون قوله لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلنا انه قد صدر عنه ذنب وحاشاه الله
من ذلك فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان
يتوجه الانكار عليه فثبت انه على جميع التقادير يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت
لهم يدل على كون الرسول مذنبا وهذا جواب شاف كاف قاطع وعند هذا يحمل قوله
لم اذنت لهم على ترك الاولى والاكمل بل لم يعد هذا اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب
الى ذلك قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية
وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم
وانه لا حرج عليه في الاذن لهم واما قوله تعالى في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له
اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة الاية الى قوله
عظيم فروى مسلم في افراده من حديث عمر بن الخطاب قال لما هزم الله المشركين
يوم بدر وقتل منهم سبعون واسر سبعون استشار النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر
وعمر وعليا فقال ابو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني ارى ان
ناخذ منهم الفدية فتكون قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما ارى
ما راى ابو بكر ولكن ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا
من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان اخيه فيضرب عنقه حتى يعلم
الله ان ليس في قلوبنا هوادة للمشركين فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فاخذ منهم الفداء فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا هو قاعد وابو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول
الله اخبرني ماذا يبكيك انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد تباكيت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من الفداء لقد عرض
علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فانزل الله تعالى ما كان لنبي ان يكون
له اسرى الى قوله عظيم وقوله حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه
حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله وليس في هذا الزام
ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء
عليهم الصلاة والسلام فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت

Copyright ... University